من أهوال يوم القيامة

08 جمادى الآخرة 1442هـ

للشيخ الفاضل /

حسن بن محمد منصور الدغريري

-حفظه الله ورعاه-

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على شرعه إلى يوم الدين، ثم أما بعد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء الآية ١]

أيها المسلمون:

من المواقف العظيمة التي يراها الناس يوم القيامة؛ تلك الأهوال العظيمة التي تشيب لرؤيتها الرؤوس وتضع فيه كل ذات حملٍ حملها، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج الآية ٢]

وقد جاء في الحديث الحسن الذي حسنه الامام الألباني -رحمه الله- في مشكاة المصابيح، من حديث عمر -رضي الله عنهما- قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن سرَّه أن يَنظُرَ إلى يومِ القيامةِ كأنه رَأْيَ عينٍ! فليقرأْ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت). رواه احمد والترمذي.

عباد الله:

إن الشمس يوم القيامة تكور بمعنى: يجمع بعضها على بعض كالعمامة، فتلف حتى يذهب ضوئها ثم يرمى بها وكذا القمر، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

(الشمسُ و القمرُ يُكورانِ يومَ القيامةِ). رواه البخاري.

وأما النجوم فتتناثر وتتساقط يوم القيامة هنا وهناك بعد أن كانت ثابتةً في الدنيا. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التَّكوير الآية ١١] أي: أن السماء يوم القيامة تنشق وتتفطر وتتلوّن كما تتلون الأشياء بالأصباغ التي يدهن بها، بعد أن كانت بلونٍ واحد، فتارةً تكون السماء يوم القيامة حمراء. وتارةً صفراء وتارةً خضراء وتارةً زرقاء من شدة الأمر وهول يوم القيامة، وصدق الله تعالى اذ يقول: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرَّحمَن الآية ٣٧].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقَّة الآية ١٦] أي: منشقةٌ متصدعة.

وأما الجبال؛ فتزول يوم القيامة عن أماكنها وتقلع من الأرض قلعاً وتنسف منها نسفاً. صدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النَّمل الآية ٨٨]. ثم تكون الجبال بعدها هباءً منثورًا.

كما قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القَارِعَة الآية ٥]. أي: كالصوف المبعثر الذي شرع في التمزق والتلف، ولذا تبسط الأرض بعد زوال الجبال وخروج الكنوز والموتى منها.

كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾ [الانشِقَاق من الآية ٣ الى الآية ٥] أي: وحُق لها أن تطيع أمر ربها؛ لأنه العظيم الشأن، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وأما البحار فتفجر يوم القيامة ويذهب ماؤها وتوقد البحار وتتحول إلى نارٍ عظيمةٍ مشتعلة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التَّكوِير الآية ٦] وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [التَّكوِير الآية ١٢] أي: أوقدت ثلاثة آلاف سنة.

وروى جرير بسنده إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: (قال لرجلٍ من اليهود: أين جهنم؟ قال: البحر فقال: ما أراه إلا صادقاً) وقال الله تعالى في سورة الطور: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطُّور الآية ٦] قال ابن عباسٍ وغير واحدٍ من السلف: يرسل الله عليها -أي النار- الريح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تتأجج.

وإذا قيل أن البحر قد خلق الله فيه مادةً مشتعلة وهي البوتاس، وستشتعل بأمر الله متى شاء الله.

ومن أهوال القيامة أن العشارة وهي: الإبل الحوامل؛ يشتغل عنها الناس بما يشاهدونه ويسمعونه من أهوالٍ عظيمةٍ في آخر الزمان. نسأل الله العفو والعافية.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التَّكوِير الآية ٥]. أي: جمعت يوم القيامة في أرض المحشر ليقتص الله بعضها من بعض، قال ابن عباس: يحشر الله كل شيءٍ حتى الذباب.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التَّكوِير الآية ٧] بمعنى: أن الأرواح تعود يوم القيامة إلى أجسادها التي فارقتها بالموت، ويجمع الله كل صنف مع من كان شبيهه في العمل، كما قال صلى الله عليه وسلم (المَرْءُ مع مَن أحَبَّ). أي: يوم القيامة. متفق عليه.

فيجمع الله أهل الإيمان بعضهم مع بعض في الجنة، ويجمع أهل النار بعضهم مع بعض فيها عياذاً بالله.

وأن الموؤدة أي: الطفلة الصغيرة، تُسأل يوم القيامة عمن دفنها حية؛ بأي ذنبٍ قتلها أبوها كما فعله أهل الجاهلية الأولى، فتطالبه يوم القيامة بدمها ونفسها.

وأن الجنة قد أزلفت أي: قربت وهويت لاستقبال أهلها من أهل الإيمان المطيعين لربهم؛ جعلنا الله وإياكم منهم، ووالدينا ووالديهم وجميع المسلمين برحمة ربنا أرحم الراحمين.

فهذه يا عباد الله بعض مشاهد يوم القيامة أحببت ايراد بعضها كفايةً عن غيرها لتعلموا أن داركم هذه التي أنتم فيها، ما هي إلا دار الغرور، وأنها وأهلها إلى زوال عنها عن قريبٍ أو عن بعيد.

وصدق الله تعالى اذ يقول: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد الآية ٢٠]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اقول ما سمعتم، واستغفروا -عباد الله- ربكم. إن ربنا توابٌ رحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن جاء بعده بإحسان إلى يوم الدين ثم أما بعد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأَنفَال الآية ٢٩]

أيها المسلمون:

سورة (التكوير) و(الانفطار) و(الانشقاق) ومثيلاتها من السور..

والتي فيها وصف بعض مشاهد يوم القيامة، تحثون هذه السور والآيات فيها:

على حسن القول والعمل، وأن الإنسان سيندم على ما قدمه في حياته الدنيا من سيء القول والعمل، وصدق الله تعالى اذ يقول:

﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ [آل عِمۡرَان الآية ٣٠]. وكما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ [الانفِطَار الآية ٦] أي: غره جهله وشيطانه وغفلته.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفِطَار الآية ٧] أي: كان ذلك الجهل والشيطان والغفلة سبباً عن طاعة الله الذي جعل الإنسان في أحسن خلقةٍ وهيئةٍ وشكل.

والذي خلقك -يا عبد الله- على هذه الهيئة الجميلة؛ قادرٌ على أن يخلقك بشكلٍ قبيح المنظر.

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفِطَار الآية ٨] فعليك أن تشكر ربك على النعم، ومنها حسن خلقتك التي خلقك الله عليها، وما حباك من غيرها من النعم؛ في نفسك وأهله أولادك ومجتمعك وبلادك، وعليك أن تستخدم تلك النعم في طاعة المنعم -جل وعلا- قبل يوم لا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئا والأمر يومئذٍ لله الذي لا ينازعه يوم القيامة في ملكه وتصرفه فيه أحد، فمن شاء عذبه، ومن شاء رحمه، ولا يظلم رب أحدًا.

اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق؛ أحينا ما علمت الحياة خيراً لنا، وتوفنا ما علمت الوفاة خيراً لنا، اللهم إنا نسألك كلمة الإخلاص في الغضب والرضا، والقصد في القنا والفقر، وخشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك الرضا بالقدر، ونسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عينٍ لا تنقطع ولذة العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقاً إلى لقائك، ونعوذ بك من ضراء مضرة، وفتنةٍ مضلة.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين

اللهم آمنّا في أوطاننا واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك -برحمتك يا أرحم الراحمين-.

اللهم هيأ لولاة أمورنا البطانة الصالحين، البطانة الصالحين، واخواننا الحق سائرين. وخص منهم امامنا خادم الحرمين الشريفين؛ بمزيدٍ من التوفيق والتسديد لما تحبه وترضاه يا ربنا.

وأعنه بولي عهده الأمين على الخير والهدى -يا ارحم الراحمين-.

اللهم إنا نعوذ بك من الغلاء، والربا والوباء والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن عن بلدنا هذا وعن سائر بلدان المسلمين عامةً يا رب العالمين، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى سائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.